بسم الله الرحمن الرحيم

صور من التغليب

دكتورة : نجاة عبد العظيم الكوفى

تمهيد :

تميزت لغة العرب بأنها إيجاز ومجاز ، وقد عُرفت ظاهرة التغليب فى أبواب متفرقة من كتاب النحو العربى وبخاصة فى التثنية والجمع وهما من مظاهر الإيجاز .

وتفيد الأبحاث المقارنة [١] أن التثنية أو المثنى وجدت فى اللغات السامية واللغة اليونانية وفى السنسكريتية ، ولها آثار فى اللغات الجرمانية ، لكنها لم تبرز بجلاء ووضوح إلا فى العربية من اللغات السامية ، فالمثنى زال تقريبا من اللغة السريانية [٢] ، واقتصر فى النصوص البابلية على أعضاء الجسم المزدوجة ، وفى اللغة العبرية يستعمل فى أعضاء الجسم المزدوجة مثل (يدايم) لليدين ، وفى الأدوات التى تتألف من شقين مثل (رحايم) للرحى . ويتبين من الأمثلة أن علامة التثنية فى العبرية ياء وميم مفتوح قبلها [٣] أما العربية فقد اهتمت بالمثنى ، فشاع فيها الخطاب للمفرد بصيغة المثنى للتأكيد والتقرير ، من ذلك قول " امرئ القيس " [٤] :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ٠٠ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فالظاهر من قوله (قفا) أنه يخاطب رفيقين ويحتمل أنه أراد (قِفَنْ) بنون التوكيد الخفيفة فأبدل الألف من النون إجراء للوصل مجرى الوقف . ويجوز أنه خاطب رفيقا واحدا جريا على مألوف العرب أنها تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين ، ويبدو ذلك واضحا فى قول الشاعر :

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يا ابنَ عفَّانَ أَنْزَجِرْ ٠٠ وإِنْ تَدَعانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا

ومنه قول الحجاج : (يا حَرَسِيّ اضربا عنقه) ، وهو عند " ابن الحاجب " محمول على معنى تكرير الفعل تأكيدا وتقريرا ، وتأول على ذلك قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) [٥] قال : [وأما نحو قوله تعالى (ربّ ارجعون) على تأويل ارجِعْنِي ارْجِعْنِي ارجعنى ، وقول " الحجاج " : يا حرسى اضربا عنقه أى اضرب اضرب فليس الأول بجمع ، والثانى بتثنية ، إذ التثنية ضم مفرد إلى مثله فى اللفظ غيره فى المعنى ، والجمع ضم

---

(١) فقه اللغة المقارن ص ٧٥ (٢) المرجع السابق ص ٧٩
(٣) المرجع السابق (٤) شرح القصائد العشر ص ٤ (٥) المؤمنون ٩٩

مفرد إلى مثليه أو أكثر فى اللفظ غيره فى المعنى ، وارجعون واضربا بمعنى التكرير .... والتكرير ضم الشىء إلى مثله فى اللفظ مع كونه إياه فى المعنى للتأكيد والتقرير ، والغالب فيما يفيد التأكيد أن يُذكر بلفظين فصاعدا.لكنهم اختصروا فى بعض المواضع بإجرائه مجرى المثنى والمجموع[(١)]

ويفهم من النص أن العرب كانت تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين أو الجمع للدلالة على تكرار الحدث ، فقوله (قفا) فى معنى (قف قف) .

وجعل " الفراء " من ذلك قوله تعالى : (أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) .[(٢)]

قال : [العرب تأمر الواحد والقوم بما يُؤمر به الاثنان فيقولون للرجل : قُومَا عنّا ، وسمعت بعضهم : ويحك ارحلاها وازجراها ... ألا ترى الشعراء أكثر شىء قيلا : يا صاحبىّ يا خليلىّ ، فقال " امرؤ القيس " :

خَلِيلَىَّ مُرَّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ .. نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

ثم قال :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا .. وَجَدتُ بِهَا طِيبًا وَإِن لَمْ تَطَيَّبِ

فقال : ألم تر ، فرجع إلى الواحد ، وأول كلامه اثنان][(٣)]

ويؤكد اهتمام العرب بالتثنية ما سمع فى لغتهم من المصادر التى تَرِد مُثَنّاه مثل : حَنَانَيْك ، قال "طرفة بن العبد " :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا .. حنانيك بعضَ الشرِّ أهونُ من بَعْض

فثنى (حنانيك) لإرادة التكثير ، لأن التثنية أول مراتب التكثير ، قال "سيبويه" :

[وزعم " الخليل " رحمه الله أن معنى التثنية أنه أراد تحننا بعد تحنن][(٤)]

وهذا نظير قولهم : (اضربا) فى خطاب الواحد للدلالة على التكرير ، وإن اختلفت طرائق الأداء .

---

(١) كتاب الكافية فى النحو ١/ ١٥ (٢) ق ٢٤

(٣) معانى القرآن ٣/ ٧٨ ، ٧٩ (٤) الكتاب ١/ ٣٤٨

ونظير (حنانيك) ، (لبيك) بمعنى إجابة بعد إجابة ، كأنه قال : كلما أجبتك فى أمر فأنا فى الأمر الآخر مجيب ، وكأن هذه التثنية أشد توكيدا [1]

(وسَعْدَيك) بمعنى تقربا إليك ومتابعة لأوامرك .

(وحَذَاريك) ، أى ليكن منك حذر بعد حذر ،

و(هَذَاذَيْك) ، أى قطعا بعد قطع .

وهذه المصادر تكون ملازمة للياء لأنها تُنْصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره .

وربما كان اهتمام العرب بالمثنى راجعا إلى أنه داخل فى حيز الجمع فأرادوا تمييز معالمه خشية أن يَغْنَوا بالجمع عن المثنى كما حدث فى الضمير (نحن) . وكما تشهد نصوص العربية فى قمة بلاغتها حيث يأتى ضمير الجمع عائدا على المثنى نحو (وَدَاوُدَ وسُلَيْمَانَ إذ يَحْكُمَانِ فى الْحَرْثِ إذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وكُنَّا لِحُكْمِهِم شَاهِدِينَ) [2] ، أو يأتى الجمع مرادا به المثنى نحو (إِنْ تَتُوبَا إلى اللَّه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) [3] فجاء لفظ القلوب مجموعا والمراد به المثنى ، موافقا لمنهج العرب ، إذا أرادوا أن يتحدثوا عن الجارحة المفردة من جوارح البدن فى شخصين قالوا : قلوبهما ورؤوسهما لأنهم كرهوا إضافة المثنى إلى المثنى خوفا من الزوائد .

والمثنى فى كتب النحو العربى يبدو جميعا وفروعه شتى ، فالمشهور التثنية القياسية ، حيث يكون المعطوف والمعطوف عليه متفقين فى اللفظ والمعنى ، ومنها التثنية الوضعية أو المعنوية وتشمل الألفاظ الملحقة بالمثنى ، ومنها التثنية اللفظية حيث يطلق اسم المثنى ويراد به الفرد الواحد مثل (البحرين) (وعمان) (وجمان) فى تسمية البلدان ، وقد يأتى الجمع على هيئة المثنى مثل (قِنْوَان) وربما كان مجىء المفرد والجمع على هيئة التثنية أن المثنى فى منزلة بين المنزلتين ، وقد تَجْمَع التثنية بين لفظين مختلفين من باب التغليب ، وقد يُكْنَى بالمثنى عن شيئين بجامع اشتراكهما فى الوصف أو المعنى .

التغليب إذن فرع من التثنية وهو ما يهدف البحث إلى تفصيل الحديث عنه دون ما

---

(١) الكتاب ١/٣٥٠ (٢) الأنبياء ٧٨ (٣) التحريم ٤

إغفال لبقية المسائل التى أُثيرت فى بحث المثنى ، وأهم النقاط التى يتناولها البحث هى :

- التغليب : مفهومه وشواهده .
- المثنى على التغليب فى لغة العرب .
- ما ورد على التغليب فى القرآن الكريم .
- مجىء المفرد على هيئة المثنى .
- الجمع على هيئة التثنية .
- المثنى المكنّى .

أولا :

التغليب : مفهومه وشواهده :

التثنية فى اللغة تكرير الشىء مرتين ومنه الثَّنىّ والثُّنيان ، وهو الذى يكون بعد السيد كأنه ثانيه — قال الشاعر :

تَرَى ثِنَانَا إذَا ما جَاءَ بدأَهُمُ ٠٠ وَمَدْهُمُ إن أَتَانَا كَانَ ثُنْيَانَا

والثَّنىّ : الأمر يُعاد مرتين ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ثِنَىَ فى الصَّدَقَة) ، يعنى لا تؤخذ فى السنة مرتين .

والمثنى فى الاصلاح ما دل على اثنين وكان اختصارا للمتعاطفين بمعنى أن كلمة (جنّتان) مثلا فى قوله تعالى : (ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ ربِّه جَنَّتَانِ)[1] أغنت عن جنة وجنة ، ولا يجوز العطف فى غير ضرورة إلا قصدًا للتكثير نحو : أعطيتك ألفا وألفا ، أو لفصل ظاهر نحو : من المسطحات المائية البحر الأبيض والبحر الأحمر ، أو مُقَدّر كقول " الحجاج " (إنَّا لله محمد ومحمد فى يوم) يريد ابنه وأخاه .

والمثنى الحقيقى صالح للتجريد من الزيادة — وهى الألف والنون فى حالة الرفع والياء والنون فى حالتى النصب والجر — وعطف مثله عليه ، وبهذا الحد يُخرج للألفاظ الموضوعة للاثنين كشَفْع وزَوْج ، وملحقات المثنى وهى : اثنان واثنتان مطلقا ، وكلا وكلتا مضافين إلى مضمر .

---

(١) الرحمن ٤٦

معنى هذا أن المثنى الحقيقى يجمع بين طرفين هما المعطوف والمعطوف عليه ، والتغليب هو ترجيح أحد طرفى المُغَالبة على الآخر ، أو إعطاء الشئ حكم غيره إجراء للمختلفين مجرى المتفقين . قال " ابن فارس " : [الغين واللام والباء أصل صحيح يدل على قوة وقهر وشدة ... وكانت تَغْلِبُ تُسَمَّى " الغَلْبَاء " ، قال :

وَأَورثَنِي بَنُو الغَلْبَاءِ مَجْدًا ... حَدِيثًا بعدَ مَجْدِهِمُ القديمِ

والمُغَلَّب من الشعراء ، المغلوب مرارا ، والمغلِّب أيضا الذى غلب على خصمه].[1]

ولما كانت الغلبة دائما للأقوى جنح العرب إلى التغليب فى مواضع كثيرة منها :

تغليب المذكر على المؤنث :

مثال ذلك قولهم فى باب العدد : [هذا حادى أحَدَ عَشَرَ ، إذا كُنَّ نِسْوة معهن رجل ، لأن المذكر يغلب المؤنث ، ومثل ذلك قولهم : خامس خمسة إذا كن أربع نسوة فيهن رجل ، كأنك قلت : هو تمام خمسة].[2]

ويُغَلَّب المذكر أيضا فى تمييز العدد المميز بشيئين فى التركيب إذا كان المعدود من يعقل ، قال " الأشمونى " : [حكم العدد المميز بشيئين فى التركيب لمذكرهما مطلقا إن وجد العقل نحو : عندى خمسةَ عَشَرَ عبدا وجارية ، وخمسة عشر جارية وعبدا ، وإن فقد فللسابق بشرط الاتصال نحو : عندى خمسة عشر جملا وناقة ، وخمس عشرة ناقة وجملا وللمؤنث إن فصلا نحو : عندى ست عشرة ما بين ناقة وجمل أو ما بين جمل وناقة].[3]

تغليب الحاضر على الغائب :

من ذلك قوله تعالى : (اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُم)[4] ، فأعيد الضمير بلفظ الخطاب ، وإن كان قوله تعالى : (ومن تبعك) يقتضى الغيبة ، تغليبا للمخاطب .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٨٨ (٢) الكتاب ٣ / ٥٦١
(٣) شرح الأشمونى ٤ / ٧١ (٤) الإسراء ٦٣

ونظيره قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ونصفَهُ وثُلثَهُ وطائفةٌ مِن الَّذِين مَعَك واللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عليكُم فاقْـرأُوا ما تيسَّـر من القرآن ...) [1] فجاء الضمير بلفظ الخطاب (فاقـرأوا) ، وإن كان قولـه تعالى : (وطائفة من الذين معك) يقتضى الغيبة تغليبا للمخاطب .

تغليب الكثرة على القلـة :

قال تعالى فى الخبر عن قوم سيدنا " صالح " : [فكذَّبُوه فعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِـم رَبُّهُم بِذَنْبِهِم فَسَوَّاهَا) [2] ، فأسند عقر الناقة إلى الجماعة ، وإن كان الفاعل واحدا وهـو " قدار بن سالف " تغليبا للكثرة ، ولكونهم راضين عن فعلته .

ويجوز أن يكون إسناد الفعل حقيقيا وليس من باب المجاز ، وأن يكون الحدث قـد صدر من جماعة ، وانما أفرد (أشقاها) لأن أفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة جـاز إفراده وإن عُنى به جمع [3] ، فإن كان المراد جماعة فلا تغليب .

ومثل ذلك قوله تعالى : (فَنَادَتْه الملائكةُ وهو قائِمٌ يُصَلِّى فى المِحْراب) [4] ، فجاء الفعل مسندا إلى الملائكة تغليبا للكثرة ، وإنما صدر النداء عن " جبريل " من الملائكـة ، ودليل ذلك قراءة " حمزة " و" الكسائى " [5] : (فناداه الملائكة) .

تغليب العاقل على غير العاقل :

ويشهد لذلك قوله تعالى : (واللَّهُ خلق كُلَّ دابَّةٍ مِن مَّاءٍ فمنهُم مَن يَمْشِى على بَطْنِهِ ومنهُم مَن يَمْشِى على رِجْلَيْنِ ومنهُم مَن يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ) [6] فالمراد بالدابة عموم مـن يعقل وما لا يعقل ، وقال تعالى عند التفريع (فمنهم) تغليبا للعاقل .

وقال تعالى حكاية عن السماء والأرض : (ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَـالَ لها وللأرضِ ائْتِيَـا طَوْعاً أو كَرْهاً قالتا أتينا طائِعِيـنَ) [7]

---

(١) المزمـل ٢٠ (٢) الشـمس ١٤ (٣) البحر المحيط ٤٨١/٨
(٤) آل عمران ٣٩ (٥) حجة القراءات ١٦٢ (٦) النور ٤٥ (٧) فصلت ١١

قال " الزركشي " : [إنما جمعهما جمع السلامة ولم يقل طائعين ولا طائعات ، لأنه أراد ائتيا بمن فيكن من الخلائق طائعين ، فخرجت الحال على لفظ الجمع ، وغلب من يعقل من الذكور] (١).

ويُغلّب العاقل مراعاة لحكم الوصف كما في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف : (يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (٢) ، قال : " أبو حيان " : [جمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له وهو صفة من يعقل] (٣)

تغليب المؤنث على المذكر :

تغليب المؤنث على المذكر قليل ولا يكون إلا في غير العاقل ، ويغلب المؤنث رغبة للتخفيف في قولهم : ضَبُعان — بفتح فضم — في تثنية ضبع للمؤنث وضِبْعان بكسر فسكون للمذكر ، ولم يثنوا المذكر فرارا من الزوائد .

ويغلب المؤنث في نحو قولهم : كتبته لثلاث بين يوم وليلة ، وضابطه أن يكون العدد مميزا بمذكر ومؤنث كلاهما مما لا يعقل وفُصِلا من العدد ببين (٤).

وقد جاء تغليب المؤنث في قوله تعالى : (والَّذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) (٥) والمراد عشرة أيام بلياليها ، لكن أنث العدد تغليبا لليالي لسبقها .

تغليب الاسم على الفعل :

اختلفت أقوال النحاة في (حَبَّذَا) و (لا حَبَّذا) التي تجرى مجرى نعم وبئس في إنشاء المدح والذم .

فالمشهور فيهما أن (حب) فعل ماض ، و (ذا) في موضع رفع فاعل ، ولا يكون

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٠٥/٢ ، ٣٠٦ (٢) يوسف ٤
(٣) البحر المحيط ٢٨٠/٥ (٤) الصبان ٧٥/١ (٥) البقرة ٢٣٤

إلا مفردا مذكرا[1] بينما يأتي المخصص بالمدح أو الذم بعده مفردا ومثنى ومجموعا مذكرا ومؤنثا نحو : (حبذا المرأة) (حبذا ركعتا الفجر) (حبذا المقيمون الصلاة) (حبذا الصدقات في سبيل الله) .

ومن النحاة من ذهب إلى أن (حبذا) مركبة ، وهؤلاء اختلفوا على رأيين :

فمذهب " الخليل " و " سيبويه " و " المبرد " وغيرهم أن (حبذا) صارت بعد التركيب اسما في موضع رفع على الابتداء ، وما بعده خبر ، قال " سيبويه " : [وزعم الخليل رحمه الله أن حبذا بمنزلة حسب الشيء ، ولكن هذا وحبّ بمنزلة كلمة واحدة نحو لولا ، وهو اسم مرفوع ... ألا ترى أنك تقول للمؤنث حبذا ولا تقول حبّذي لأنه صار مع (حسب) على ما ذكرت لك ، وصار المذكر هو اللازم لأنه كالمثل][2].

ومعنى هذا أن (حبذا) عندما صارت في الحكم كلمة واحدة عند القائلين بأنها مركبة ، غلّب بعضهم جانب الاسمية لشرف الاسم فصار الجميع اسما[3] ، وعلّل " ابن يعيش " لذلك بقوله : [غلب جانب الاسم لقوته وضعف الفعل ، واستدلوا على اسميته بكثرة ندائه نحو قولهم : يا حَبّذَا ، قال الشاعر :

يا حَبّذَا جَبَلُ الرَّيان مِن جَبَلٍ ... وَحَبّذَا سَاكِنُ الرَّيان مَنْ كَانَا][4]

ومنهم من غلب جانب الفعل لتقدمه ، وجعل (حبذا) بعد التركيب فعلا ، والمرفوع بعدها هو الفاعل .

ورد الصبان[5] على هذا الرأي بأنه يلزم عليه تغليب أضعف الجزأين ، وبأن تركيب فعل من اسم وفعل لا نظير له .

واستدلوا على غلبة الفعل بقولهم : لا يُحَبّذه بما لا ينفعه . ورجع ابن يعيش " تغليب الاسم على الفعل قال : [والأول أمثل ، وقولهم : لا يحبذه فأنهم اشتقوا فعلا من لفظ الجملة كقولهم : حَمْدَل في حكاية (الحمد لله) .

---

(١) شرح المفصل ٧/ ١٤١ (٢) الكتاب ٢/ ١٨٠ (٣) همع الهوامع ٢/ ٨٨
(٤) شرح المفصل ٧/ ١٤٠ (٥) حاشية الصبان ٣/ ٤٠

فهذان وجهان عربيان ... ومنهم من لا يُغلّب أحدهما على الآخر ويجريهما على ظاهرهما وهو المذهب المشهور](١)

ثانيا ـ التثنية على التغليب في لغة العرب :

التثنية على التغليب يعرب كما يعرب المثنى الحقيقي وإن خالفه في بعض أحكامه، يقول "سيبويه" [اعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان ، الأولى منهما حرف المد واللين ، وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ، يكون في الرفع ألفا ... ويكون في الجر ياء مفتوحا ما قبلها ... ويكون في النصب كذلك ...

وتكون الزيادة الثانية نونا لأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين وهي النون وحركتها الكسر](٢).

و "بنو أسد" يفتحون نون المثنى ، قال "ابن خالويه" في حديثه عن التثنية : [ومنها تثنية جاءت نونها مفتوحة ، مررت بالزيدينَ ، أنشد "الفراء":

عَلَى أحوذيينَ استَقَلَّتْ عَشِيَّةً ... وما هِيَ إلاّ لمحةٌ وتَغِيبُ](٣)

ومن العرب من يلزم المثنى الألف في الرفع والنصب والجر ، يقولون : (جلست بين يداه) ، قال الشاعر :

إنَّ أباهَا وأبَا أباهَا ... قَدْ بَلَغَا في المَجْدِ غايَتاهَا

---

(١) شرح المفصل ١٤١/٧ (٢) الكتاب ١٧/١، ١٨
(٣) ليس في كلام العرب ٣٣٤ ، ٣٣٥

والمختار عند "أبي حيان" في تخريج قراءة: (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)[١]، أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائما[٢].

ويؤكد الدكتور "إبراهيم السامرائي" أن سائر اللغات السامية - ما عدا العربية - لم تخصص الألف والنون، أو الياء والنون بحالة إعرابية خاصة كما هو الحال في العربية[٣].

ويرجح أن يكون إلزام المثنى للألف أسلوبا في الكلام لا علاقة له بحال من أحوال الإعراب[٤]، وهو يمثل لغة قسم كبير من العرب، وأن تكون الياء والنون علامة في التثنية، لغة أيضا تمثل قبائل معينة، وجهات معينة، وليس ببعيد عنده أن يكون إلزام المثنى للألف هو الأصل، وأن تكون الياء في التثنية مسألة من مسائل الإمالة، والإمالة من صفات اللهجات المحلية قديما وحديثا[٥]، من ذلك قولهم: (عيشة) في (عائشة)، ولعل هذا يفسر إلزام المثنى للياء في اللهجة المصرية الحديثة.

ويفسر الدكتور السامرائي "مجيء المثنى بالألف والياء في الصحيحين بقوله: [نستطيع أن نقرر أن المثنى بالياء لغة جماعة من الناس ... ثم لما أن درجت العربية في طريقها التطوري وآن لها أن تنسجم في لغة القرآن والحديث اختص الاستعمال المثنى بالألف لحال الرفع، والمثنى بالياء لحال النصب والجر][٦].

والتثنية وإن كانت قياسية فليس يلزم أن يكون المفرد قابلا للتثنية، رُوِيَ عن "ثعلب" و "المبرد" أن الواحد ليس له تثنية، ولا للاثنين واحد من جنسه[٧]. وقيل (اليَمّ) لا يثنى ولا يكسّر ولا يجمع جمع السلامة[٨].

---

(١) طه ٦٢ (٢) البحر المحيط ٦/٢٥٥ (٣) فقه اللغة المقارن ٨٤
(٤) المرجع السابق ٨٦ (٥) فقه اللغة المقارن ٨٧ (٦) فقه اللغة المقارن ٨٩
(٧) المزهر في علوم اللغة ٢/١٣١ (٨) لسان العرب مادة (يمم)

ويشترط فى المفرد المراد تثنيته أن يكون مفردا ، قيل : [فلا يثنى المركب تركيبا إسناديا باتفاق ، ولا مزجيا على الأصح ... وأما العلم الإضافى فإنما يثنى جزؤه الأول على الصحيح](١)

- أن يكون نكرة ، فلا يثنى العلم باقيا على علميته ، بل ينكر ثم يثنى ، ولهذا لا تثنى كنايات الأعلام كفلان وفلانة لأنها لا تقبل التنكير ، قال "سيبويه": [وأما قولهم : أعطيكم سنة العُمَرين فإنما أدخلت الألف واللام على (عمرين) وهما نكرة ، فصارا معرفة بالألف واللام ، كما صار (الصعق) معرفة بهما .. فكأنهما جعلا من أمة كل واحد منهما (عمر) ، ثم عُرِّفا بالألف واللام فصارا بمنزلة القَرِيَّيْن المشهورين بالكوفة](٢)

- أن يكون مُعْرَبا ، أما (اللذان) و (اللتان) فليسا بمثنيين ، وإنما استعملا على هيئة المثنى ، وكذا مؤنثهما ، لأنهما لا يقبلان التنكير ، وأن ذا وتا والذى والتى إذا ثنيت حذفت منها الياء والألف فخالفت ما سواها من الأسماء المتمكنة .

- ألا يستغنى عن تثنيته بتثنية غيره ، فلا يثنى (سواء) لأنهم استغنوا عن تثنيته بتثنية (يَسِيّ) ، فقالوا (يَسِيّان) ، ولا يثنى (بعض) ، استغناء عن تثنيته بتثنية (جزء) ولا يثنى (أجمع) و (جمعاء) لأنهم استغنوا بـ (كِلا) و (كلتا) وهى من ملحقات المثنى .

- وشرط المتعاطفين أن يتفقا فى اللفظ والوزن والمعنى ، فلا يقال : جبلان فى تثنية سهل وجبل لعدم الاتفاق فى اللفظ ، ولا الجَبَلان - بكسر وسكون - فى حَمَل وجَمَل

---

(١) حاشية الصبان ١/٧٦

(٢) الكتاب ٢/١٠٤ ، وقيل : القَرِيَّان بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمى جذيمة الأبرش وسميا القريين لأن النعمان كان يُغَرِّيهما بدم من يقتله فى يوم بؤسه ، وقد أسهب ياقوت فى قصة بناء القريين وهما بظاهر الكوفة قرب قبر "علىّ" رضى الله عنه - معجم البلدان ٤/١٩٦ .

لعدم الاتفاق في الوزن ولا العينان في الباصرة والجارية لعدم الاتفاق في المعنى. أما قوله تعالى : (وما يستوي البحران)[1] في تثنية البحر والنهر فمن قبيل التغليب .

والمراد بالتغليب في باب التثنية ترجيح لفظ أحد المتعاطفين على الآخر إجراء للمختلفين مجرى المتفقين لتناسب بينهما أو اختلاط ،كتغليب المذكر على المؤنث في الأبوين والوالدين والقمرين ، وتغليب المؤنث على المذكر إيثارا للخفة مثل : المروتين في تثنية الصفا والمروة .

والتثنية الحقيقية قياسية ، أما التغليب فبابه السماع ، قيل : [والخير أن يكون التغليب قياسا عند وجود قرينة تدل على المراد بغير لبس][2].

وقد سمعت تثنية الأعلام وصفاتهم على التغليب في قولهم :

العُمَران : في تثنية أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما - حيث غلب الأخف على الأثقل، لأن لفظ " عمر " مفرد ، ولفظ أبي بكر " مركب"[3].

وتختلف كتب اللغة في المراد بالعمرين .

فقيل : هما " عمر بن الخطاب " و " عمر بن عبد العزيز " ، وعليه فلا تغليب،ورد على ذلك بأنهم نطقوا بالعمرين قبل أن يعرفوا " عمر بن عبد العزيز " فقالوا " يوم الجمل " " لعلي ابن أبي طالب " : (سُنَّةَ العُمَرين)[4].

وقد يُراد بالعمرين في غير هذا المقام " عمر بن الخطاب " وعمرو بن هشام " لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك) .

وقد جاء اللفظ مُرادا به غير ما تقدم في قول الشاعر[5]:

إذا اجْتَمَعَ العُمَرَانِ عَمْرُو بنُ جَابِرٍ ٭٭ وَعَمْرُو بن عَمْرٍو خِلْتَ ثُبْيَانَ تبعَا

---

(١) فاطر ١٢ (٢) النحو الوافي ١/١١٨ هامش ٦

(٣)(٤) البرهان في علوم القرآن ٣/٣١٣

(٥) المزهر في علوم اللغة ٢/١٢١ باب ذكر المثنى على التغليب .

والمُصْعَبَان[1] "مصعب بن الزبير" وابنه عيسى أو أخوه عبدالله .

والخُبَيْبان[2] أبو خُبَيب عبدالله بن الزبير وابنه أو أخوه مصعب .

والقارظان[3] رجلان من عنزة خرجا فى التماس القرظ فلم يرجعا .

ومن أسماء غير الناس :

الأذانان : الأذان والإقامة ، والعشاءان : المغرب والعشاء ، ورَجَبان : رجب وشعبان ، قال "ابن فارس" : [الراء والجيم والباء أصل يدل على دعم شئ بشئ وتقويته ، من ذلك الترجيب ، وهو أن تُدْعم الشجرة إذا كثر حملها ، لئلا تنكسر أغصانها ...

ومن هذا الباب : رَجَّبْتُ الشئ ، أى عظَّمته ... ومن الباب رَجَب ، لأنهم كانوا يعظمونه ، وقد عظمته الشريعة أيضا ، فإذا ضمُّوا إليه شعبان قالوا رجبان][4].

والقمران : الشمس والقمر ، ويُروى عن "المفضل" فى تفسير هذه التثنية حكاية طريفة مضمونها أن "الرشيد" أرسل فى طلبه وعنده "الكسائى" ليسأله عن قول الله تعالى : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) ، فلما أحسن الجواب التفت إليه "الرشيد" وقال : يا "مفضل" عندك مسألة تسأل عنها ؟ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قول "الفرزدق" :

أخَذْنا بآفاق السماء عليكُمُ ... لَنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ

فكان الجواب عليه : لنا قمراها يعنى الشمس والقمر ، كما قالوا : (سنة العمرين) يريدون "أبا بكر" و "عمر" ، قال "المفضل" : فلِمَ استحسنوا هذا ؟ قيل : لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد ، وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلَّبوه فسموا الآخر باسمه ، فلما كانت أيام "عمر" أكثر من أيام "أبى بكر" رضى الله عنهما ، ونتوحه أكثر غلَّبوه وسموا "أبا بكر" باسمه .

قال "المفضل" : قد بقيت مسألة أخرى ، فالتفت إليه "الكسائى" وقال : أفِى هذا غير ما قلت ؟

---

(١) القاموس المحيط (فصل الصاد باب الباء)

(٢) " " " " " " (فصل الخاء باب الباء)

(٣) المزهر فى علوم اللغة ٢/ ١٢٤

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٩٥ باب الراء والجيم وما يثلثهما .

فأجاب ، بقيت الفائدة التي أجراها الشاعر المفتخر في شعره ، فقد أراد بالشمس " ابراهيم " صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن، والقمر " محمدا " صلى الله عليه وسلم ، والنجوم الخلفاء الراشدين[1].

ثالثا ـ ما ورد على التغليب في القرآن الكريم :

التغليب ورد في القرآن الكريم في عدة ألفاظ أذكر منها :

ـ (المَشْرِقين) في تثنية المشرق والمغرب ، واللفظ ورد في القرآن الكريم في موضعين قال تعالى :

(يا لَيْتَ بَيْنِي وبَيْنَك بُعْدَ المَشْرِقَين)[2] ، (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ ورَبُّ المَغْرِبَيْنِ)[3].

ذكر الفرّاء[4] أن المراد بالمشرقين في سورة الرحمن مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، وكذلك المغربان فلا تغليب ، ويرجح هذا اقتران اللفظين ، وقال في الآية الأولى : [يريد ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، ويقال : إنه أراد المشرق والمغرب : فقال المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما ، فيقال : قد جاءك الزهدمان[5] ، وإنما أحدهما زهدم ، قال الشاعر :

أخَذْنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر][6].

ويستفاد من كلام الفراء أن (المشرقين) حيث أفرد فتثنيته تغليب ، وإذا اقترن بالمغربين فتثنيته حقيقية .

ـ وتثنية الأبوين للأب والأم غالبا ، والوالدين للوالد والوالدة تغليب، والفرق بينهما أن الوالد لا يطلق إلا على من وُلِد له الولد من غير واسطة فلا يراد به الجد أو العم بَعُدَ أو قَرُبَ ، وكذا الوالدة ، وأما الأب فقد يطلق على الجد كما تطلق الأم مجازا على الجدة أو الخالة .

---

(١) المزهر في علوم اللغة ١٢٥/٢ (٢) الزخرف ٣٨ (٣) الرحمن ١٧
(٤) معاني القرآن ١١٥/٣
(٥) الزهدمان : أخوان من بني عبس هما زهدم وقيس (٦) معاني القرآن ٣٣/٣

ولفظ الوالدين ورد فى القرآن الكريم فى عشرة مواضع ، منها خمسة فى سورة النساء، وثلاثة فى سورة البقرة [١] والتاسع والعاشر فى سورتى الأنعام [٢] والإسراء ، قال تعالى :

- (وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا) [٣]
- (للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون ...) [٤]

ويتضح من الآيات أن لفظ الوالدين ورد فى أحكام المواريث وفى الإيصاء بالإحسان إليهما .

وجاء لفظ الأبوين فى سبعة مواضع ، مرادا به الوالدان فى قوله تعالى : (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولدٌ ، فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمه الثلث) [٥]

- (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) [٦]

وجاء اللفظ مرادا به الأب والخالة فى قوله تعالى :

- (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) [٧]
- (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) [٨]

وقيل : المراد بالأبوين فى الآيتين أبوه وجدته أم أمه [٩]

وأريد باللفظ آدم وحواء فى قوله تعالى : (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) [١٠]

وجاء اللفظ مرة واحدة فى تثنية لفظ (أب) مرادا به الجد ، قال تعالى :
(ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق) [١١]

---

(١) الآيات ٨٣، ١٨٠ ، ٢١٥ (٢) الأنعام ١٥١ (٣) الإسراء ٢٣
(٤) النساء ٧ وتكرر اللفظ فى الآيات ٣٣ ، ٣٦، ١٢٥ (٥) النساء ١١
(٦) الكهف ٨ (٧) يوسف ٩٩ (٨) يوسف ١٠٠
(٩) البحر المحيط ٢٤٧/٥ (١٠) الأعراف ٢٧ (١١) يوسف ١٦

وقولهم : (البحران) فى تثنية بحر ونهر تغليب ، وقد ورد اللفظ فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع ، قال تعالى :

- (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج)(١)
- (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج)(٢)

فقوله تعالى : هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج قرينة لفظية دالة على أن التثنية فى الآيتين من باب التغليب .

وقال " الزجاج " : [فهما مختلطان فى مرائى العين منفصلان بقدرة الله ، وسواد البصرة ينحدر الماء العذب منه فى دجلة نحو البحر ، ويأتى المد من البحر فيلتقيان من غير اختلاط فماء البحر إلى الخضرة الشديدة ، وماء دجلة إلى الحُمْرة ، ونيل مصر فى فيضه يشق البحر المالح شقا بحيث يسقى نهرا جاريا أحمر فى وسط المالح](٣)

وقد تكون تثنية (البحرين) فى المواضع الباقية حقيقية ، قال تعالى :

- (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا)(٤)
- (وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا)(٥)
- (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)(٦)

فهذه الآيات قد خلت من القرينة المرجحة للتغليب وهى الإشارة إلى المتعاطفين بهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، والملح الأجاج هو ما كان مع ملوحته مرا.(٧)

ويرجح كون التثنية حقيقية قوله تعالى فى سورة الرحمن (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، والمرجان إنما يخرج من الملح دون العذب فيكون الإخبار فى الآية الكريمة عن بحرين مالحين .

وقد اختلفت أقوال المفسرين فى المراد بالبحرين فى هذه الآيات فعند " الفراء " أن المراد بمجمع البحرين فى آية الكهف بحر فارس والروم (٨) وعند " أبى حيان " أن المراد بالبحرين فى آيتى النمل والرحمن العذب والملح.(٩)

---

(١) فاطر ١٢ (٢) الفرقان ٥٣ (٣) البحر المحيط ٦/٦ ٥٥٠ ، ٥٠٧
(٤) الكهف ٦٠ (٥) النمل ٦١ (٦) الرحمن ١٩ ، ٢٠
(٧) فقه اللغة وأسرار العربية ٤٣٠ (٨) معانى القرآن ٢/١٥٤ (٩) البحر المحيط ٨٩/٧

وتحت عنوان (من آيات الاعجاز الالهي) : نشرت اللواء الاسلامي [1] عن قوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان) • ويفيد جوهر الحديث أن الله سبحانه وتعالى قد سخر أعداء الدين للكشف عن آيات الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم ، حيث اضطلع مجموعة من علماء البحار الأمريكيين بالبحث في البحار المالحة عن الحد الفاصل بين البحرين اللذين يلتقيان في مكان واحد وجاءت إحدى سفن الأبحاث البحرية إلى باب المندب واكتشف علماء السفينة وجود حد فاصل بين مياه البحر الأحمر والبحر العربي (خليج عدن) ، وتأكد لديهم أن هذه المياه وإن بدت متجانسة إلا أنها تختلف في الكثافة والملوحة والأحياء المائية ، مما جعل البحار تحافظ على خصائصها رغم الأمواج والرياح وقوة المد والجزر •

وخلاصة القول أن التغليب في تثنية (البحرين) في القرآن الكريم إنما يكون في مواضع أمن اللبس — والله أعلم •

رابعا : مجيء المفرد على هيئة المثنى :

جرى الاستعمال قديما وحديثا على تسميه فرد أو بلد باسم لفظهُ مثنى ومعناه مفرد ويكون ملازما للألف أو الياء فمن أسماء البلدان :

(عمّان) ، بفتح العين وتشديد الميم ، قيل : هي مدينة قديمة بالشام من أرض البلقان [2] •

قال " ياقوت " : [يجوز أن يكون فَعْلان من عَمّ يَعُمّ فلا ينصرف معرفة وينصرف نكرة ويجوز أن يكون فَعّالا من عَيِنَ فينصرف في الحالتين إذا عنى به البلد] [3] •

وعُمّان بالضم والتخفيف موضع عند البحرين ، واشتقاقها ، من العَمِينة وهي أرض سهلة يمانية [4] ، يقال : عَمِن يعمَن من باب (فرح وضرب) بمعنى أقام ، وهو ينصرف نكرة مرادا به المكان ، ولا ينصرف معرفة مرادا به البلدة •

---

(١) العدد ٢١٩ الخميس ٢٣ رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ٣ من أبريل ١٩٨٦
(٢) لسان العرب مادة (عمن) (٣) معجم البلدان ١٥١/٤
(٤) لسان العرب مادة (عمن)

(العلمين) و (البحرين) ، وقد شاع استعماله ملازما للياء معربا بالحركات الظاهرة فيقال : هذه البحرينُ وانتهينا إلى البحرينِ ، قال " ياقوت " : [البحرين هكذا يتلفظ به في حال الرفع والنصب والجر ، ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن " الزمخشري " قد حكى أنه بلفظ التثنية ، فيقولون : هذه البحرانِ وانتهينا إلى البحرينِ] (١).

ومن أسماء الأشخاص :

نُعْمان وحسنين ، مما سمع ملازما للألف أو الياء ، ويرى الأستاذ " عباس حسن " (٢) ، أن المفرد من الناس يسمى بلفظ المثنى بقصد بلاغي كالمدح أو الذم أو التلميح مثل حَمْدان تثنية حمد ، وبَدْران تثنية بدر ، ومروان ، تثنية مرو ، وهي الحجارة البيض الصلبة ، وشعبان تثنية شَعْب وجَبْران تثنية جبر ، ومثل : محمدين وحسنين .

خامسا : الجمع على هيئة المثنى :

قال ابن خالويه : [ليس في كلام العرب : تثنية تشبه الجمع إلا ثلاثة أسماء وإنما يفرق بينهما بكسرة وضمة ، وهن الصِّنْوُ ، والقِنْوُ ، والرِّئْدُ — المثل . والتثنية : صنوان وقنوان ورئدان وهذا نادر مليح] (٣).

والمراد في هذا المقام جمع التكسير ، وهو ما دل على أكثر من اثنين بتغيير صورة المفرد إما بالشكل وإما بالزيادة أو النقص ، وقد يجتمع في اللفظ اكثر من تغيير مثل : رسل في جمع رسول ، وأعلام في جمع علم .

وقد يأتي الجمع على هيئة المفرد كفُلْك بضم وسكون للمفرد ، قال تعالى : خطابا لنوح عليه السلام :

— (فإذا استويتَ أنتَ ومن معكَ على الفُلْكِ فقُلِ الحمدُ لله) (٤)

— (وترى الفُلْكَ فيه مواخِرَ لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٥)

---

(١) معجم البلدان ١ / البحرين (٢) النحو الوافي ١/ ١٢٦

(٣) ليس لابن خالويه ١٥٩ (٤) المؤمنون ٢٨ (٥) فاطر ١٢

وقد يأتى الجمع على هيئة المثنى مثل (صِنْوان) جمع صنو بكسر فسكون فيهما ، قال تعالى : (وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ وجنّاتٌ من أعناب وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ يُسْقَى بماءٍ واحدٍ ونُفَضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ).[1]

والصِّنْو : المثل ، والفرع يجمعه وآخر أصل واحد ، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد ، وقد يقال لسائر الشجر إذا تشابه : شجر صنوان أى من أصل واحد ، ومنه قيل للعمّ صِنْو ، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (عمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه) ، وقال الشاعر [2]:

أتتركني وأنت أخي وصِنْوي ... فيا للناس للأمرِ العَجيبِ

والمشهور في المفرد كسر الصاد ، وحكى الزجاجي فيه صُنْو بالضم [3] ، وصَنْو بالفتح العمود الخصيص بين الجبلين أو الماء القليل بينهما والجمع صُنُوّ على وزن (فُعُول) ، وربما كان منه قول الأخيلية :

أَنَا بِغَ لَمْ تَنْبِغْ ولَمْ تَكُ أوّلا ... وكُنْتُ صُنِيّاً بين صُدَّيْنِ مُجْهَلا

والصُنِيّ : تصغير صنو وهو مسيل الماء بين جبلين ، ومنه يقال : ركيتان صنوان بمعنى متجاورتان أو تنبعان من عين واحدة .

وكسر الصاد في الجمع (صِنْوان) هو لغة الحجاز ، وقيس وتميم تضم الصاد مثل ذئب وذئبان ، ويقال فيه صَنْوان بالفتح وهو اسم جمع لا جمع تكسير لأنه ليس من أبنيته .[4]

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص (وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) بالرفع في الجميع على مراعاة القطع ، وقرأ باقي السبعة [5] بخفض الأربعة على مراعاة (من أعناب) ، فمن رفع جعل الجنة من الأعناب ، ومن خفض فالجنات من مجموع ذلك .

---

(١) الرعد ٤ (٢) أساس البلاغة مادة (صنو)
(٣) لسان العرب مادة (صنو) (٤) البحر المحيط ٥/٣٦٢
(٥) البحر المحيط ٥/٣٦٢

وقال الفراء : [صنوان وغير صنوان) الرفع فيه سهل لأنه تفسير لحال النخل والقراءة بالخفض ولو كان رفعا كان صوابا].[1]

وقرأ الجمهور (صِنوان) بكسر الصاد ، وزيد بن على بضمها[2] والحسن وقتاده بفتحها.

ولا يكون الجمع ملتبسا بالمثنى إلا إذا تجانست حركة الصاد (فاء الكلمة) فى المفرد والجمع ، لأن تثنية (صِنْو) بكسر الصاد (صِنْوان) ، وقد أمن العرب هذا اللبس عن طريق الإعراب ، فالمثنى المرفوع يقال فيه صِنْوانِ بكسر النون فى الفصحى، وفى لغة من يلزمونه الألف وأما النون فى الجمع فتظهر عليها علامات الإعراب الأصلية ، وقد قرىء اللفظ فى الآية بالرفع والجر ولم تتغير الألف لأنها حادثة فى صيغة الجمع وليست علامة للإعراب، بخلاف ألف المثنى فإنها تقلب فى النصب والجر ياء ، إلا فى لغة بلحارث بن كعب. كذلك قيل إن الكسرة فى صِنْو غير الكسرة فى (صِنوانٍ) لأنها فى المفرد وضعية وفى الجمع حادثة للجمع[3]، أما الكسرة فى المثنى فهى كسرة المفرد وليست حادثة .

ونظير (صِنوان) فى القرآن الكريم لفظ (قنوان) قال تعالى : (ومِن النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وجَنَّاتٍ من أَعْنابٍ).[4]

والقِنْو بكسر وسكون : العِذْق ، وقيل : العذق بما فيه من الرطب ، والقِنَا مقصور مثل القِنْو ، والقَنَا بالفتح لغة فيه، والجمع من كل ذلك أقناء للقلة، وقِنْوان وقِنْيان للكثرة ، قلبت الواو ياء لقرب الكسرة ولم يعتد الساكن حاجزا[5] ، ومنه قيل : قَنَا المالَ يَقْنُوه قُنْيانا وقِنْيانا وقنوان . وقد ورد بالياء فى قول الخنساء[6] :

لَوْ كان للدَّهْرِ مالٌ كان مُتْلِدَهُ ... لكَانَ للدَّهْرِ صَخْرٌ مالَ قُنْيانِ

وذكر الفراء أن أهل الحجاز يقولون : قِنْوان بكسر القاف ، وقيس (قُنْوان) بالضم وتميم قنيان ، ويجتمعون فيقولون قِنْو وقُنْو بالواو ولا يقولون قنى بالياء.[7]

وقرأ الجمهور (قِنْوان) بكسر القاف ... وقرىء بضمها ورواه السلمى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ... وقرىء عن أبى عمرو (قَنْوان) بفتح القاف على أنه اسم جمع على فَعْلان.[8]

---

(١) معانى القرآن ٢/٥٨ (٢) البحر المحيط ٥/٢٦٣ مع التيسير للدانى.
(٣) لسان العرب مادة (قنو) (٤) الأنعام ٩٩ (٥) لسان العرب مادة قنو)
(٦) أساس البلاغة مادة (قنو) (٧) لسان العرب مادة (قنو) (٨) البحر المحيط ٤/١٨٩

وقال الفراء : [وقوله : (من النخل من طلعها قنوان ...) الوجه الرفع في القنوان لأن المعنى : ومن النخل قنوانه دانية ، ولو نصب : وأخرج من النخل من طلعها قنوانا لجاز في الكلام ولا يقرأ به لمكان الكتاب] (١) ، والرفع عن ابن الأنباري على تقدير : استقر من النخل ، ومن طلعها بدل منه قال : [وقنوان مرفوع بقوله : (من طلعها) على قول من أعمل الثاني ... وهو مذهب البصريين ، وقوله (ومن النخل) على قول من أعمل الأول وهو مذهب الكوفيين] (٢).

ولا يجمع على (فعلان) بكسر الفاء وضمها إلا الثلاثي المجرد ، ولا يكون الجمع ملتبسا بالمثنى إلا إذا كانت حركة الفاء في المفرد والجمع متجانسة . وأما (فِعْلان) بالكسر ، فيكون جمعا في الثلاثي المعتل على وزن فِعْل مثل (صِنْو) و (قِنْو) ، والصحيح يأتي غالبا على فُعُول نحو جِذْع وجذوع ، ويلزم هذا الوزن في الأجوف اليائي نحو دِيك ودُيُوك ، وقد يجمع على (فِعَال) نحو ذئب وذئاب ، كما يلزم في الأجوف الواوي نحو : ريح ورياح ، قال تعالى : (وهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) (٣) ، وقد سمع جمع المفرد الصحيح على فِعْلَة نحو قرد وقردة ، قال تعالى : (فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (٤).

ويأتي فِعْلان قياسا مطردا في الأجوف الواوي على وزن (فُعْل) بضم وسكون نحو : عود وعيدان وصوت وحيتان (٥) ، كما يطرد في (فُعَل) بضم وفتح للقلة والكثرة نحو (صرد) (٦) و (صردان) ، يقول ابن مالك :

وغالباً أغناهُمُ فِعْلان ... في فُعَل كقولهم صِرْدان

كذلك يطرد في الأجوف الواوي المذكر على قياس (فَعْل) بفتح وسكون مثل : تاج وتيجان ، وقد سمع في المؤنث مثل نار ونيران ، وإن كان المطرد فيه (فُعْل) بضم وسكون مثل دار ودور .

وأما (فُعْلان) بالضم فيأتي كذلك في الثلاثي على وزن (فَعْل) بفتح وسكون ، نحو رَكْب ورُكبان ، وظَهْر وظهران وبطن وبطنان ، والظهران الجانب القصير من الريش ،

---

(١) معاني القرآن ٣٧٤/١ (٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٣٣٣/١
(٣) الفرقان ٤٨ (٤) البقرة ٦٥ (٥) شرح شافيه ابن الحاجب ٩٤/٢
(٦) هو ذكر الأرانب .

والبطنان الجانب الطويل ، ومنه قولهم : (برْ سَهْمَك بظهران ولا ترْمِه ببطنان)[1] . وعن "ابن دريد" : البطنان ما غض من الأرض والظهران ما غلظ .

والغالب فى (فَعْل) أن يجمع على فُعُول نحو شيخ وشيوخ وسهل وسهول ، وقد يأتى على فِعَال نحو (سهم) وسهام .

ويأتى فُعْلان أيضا فى جمع (فَعَل) بفتح الفاء والعين وإن كان الغالب جمعه على فُعُول ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً ، وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً)[2] .

سادسا — المثنى المكنى :

تبين مما سبق أن التثنية الحقيقية أو من باب التغليب تجمع بين اسمين ، أحدهما أو كلاهما معتمد فى التثنية ، وقد يكنى بلفظ المثنى عن شيئين يجامع الاشتراك فى المعنى دون اللفظ ، من ذلك :

النَّجْدان : الهدى والضلالة ، قال تعالى : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[3] الثَّقَلان : الإنس والجن ، قال تعالى : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ)[4] ، الأصْمَعَان : القلب الذكى والرأى الحازم ، وقولهم : إنما المرء بأصغريه يعنى قلبه ولسانه ، ومنه قولهم : ما يدرى أى طرفيه أطول : نسبه من قبل أبيه ونسبه من قبل أمه[5] ، والأصرمان : الذئب والغراب لأنهما انقطعا من الناس . والأبهمان : عند أهل البادية السيل والجمل الهائج ، وعند أهل الأمصار السيل والحريق .

والأزهران : الشمس والقمر .

والرافدان : دجلة والفرات .

والشيخان : البخارى ومسلم ، وهما المعنيان فى كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) .

---

(١) فوائد اللغة ص ١٩٤ (٢) الشورى ، الآيتان ٤٩ ، ٥٠ (٣) البلد ١٠
(٤) الرحمن ٣١ (٥) المزهر فى علوم اللغة ٢/ ١١٤

والحرميان : نافع وابن كثير .
والنحويان : حمزة والكسائي .
والجديدان : الليل والنهار .
والمعوذتان : سورة الفلق والناس.
والمقشقشتان : سورتا الكافرون والإخلاص ، أي أنهما يبرئان من النفاق ، من قولهم تقشقش المريض إذا برأ ، قال "ابن فارس" : [القاف والشين كلمات على غير قياس ، فالقش : القشر ، يقال : تقشقش الشيء إذا تقشر ، ويقال لسورتي (قل يا أيها الكافرون) ، (قل هو الله أحد) المقشقشتان لأنهما يخرجان قارئهما مؤمنا بهما من الكفر](1).

خاتمة :

تناول البحث موضوع التغليب ، والمشهور أنه فرع من التثنية ، والتثنية فرع عن الإفراد ، ولكونها فرعا أعربت بالحروف - بالألف في حالة الرفع ، وبالياء المفتوح ما قبلها والمكسور ما بعدها ، في حالتي النصب والجر .

وبعض العرب يجعل نون المثنى مفتوحة ، وبعضهم يلزمه الألف ويعربه بالحركات المقدرة عليها ، وبعضهم يجعله بالألف دائما ويعربه بحركات ظاهرة على النون المنونة كأنه اسم مفرد نحو : عندي كتابانٌ نافعانٌ واشتريت كتاباناً نافعاناً ، وقرأت في كتابانِ نافعانِ ، وهذه لغة قليلة جدا(2).

وذهب الدكتور السامرائي إلى أن الزام المثنى الألف كان لغة الكثرة من العرب ، وكان بعضهم يجعل المثنى بالياء دائما كما هو الشأن في بعض اللهجات الحديثة ، ولعل الياء في التثنية ظاهرة من ظواهر الإمالة ، ولما درجت العربية في طريقها التطوري وآن لها أن تنسجم في لغة هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف اختص استعمال المثنى بالألف في حالة الرفع ، وبالياء في حالتي النصب والجر .

---

(1) معجم مقاييس اللغة ٥/١٠٠ (2) النحو الوافي ١/١٢٤ هامش ٢

والمثنى مجاوز للواحد ، داخل فى حيز الجمع ، ويتعكس ذلك فى أساليب اللغة ، فاللفظ قد يأتى جمعا والمراد به مثنى ، وقد يأتى ضمير الجمع عائدا على الاثنين ، وقد تأتى الكلمة لفظها مفرد ومعناها مثنى مثل (كلا وكلتا) ، وقد أجيز فى ضميرها اعتبار المعنى فيثنى ، واعتبار اللفظ فيفرد ، غير أن اعتبار اللفظ اكثر ، وبه جاء القرآن الكريم قال تعالى : (كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا).

ولما كان لكلا وكلتا حظ فى الإفراد ، وحظ فى التثنية ، أجريا فى إعرابهما مجرى المفرد تارة ، ومجرى المثنى تارة أخرى ، فتعرب إعراب المفرد إذا أضيفت إلى الظاهر لأنه أصل والإعراب بالحركات أصل ، وتعرب إعراب المثنى إذا أضيفت إلى الضمير ، لأن الإضافة إلى الضمير فرعُ الإضافة إلى الظاهر ، والإعراب بالحروف ، فرع الإعراب بالحركات فجعل الأصل مع الأصل والفرع مع الفرع للمناسبة .

والتغليب فى التثنية ترجيح أحد المتعاطفين إجراء للمختلفين مجرى المتفقين ، واللفظ قد يغلب لخفته أو شهرته أو لقوته ، وقد شاع تغليب المذكر على المؤنث ، وقل العكس .

وقد يأتى اللفظ مثنى ومعناه مفرد لغرض بلاغى مثل : حَمْدان وبَدْران والعلمين وغيرهما .

وقد يكنى عن المثنى بجامع الاشتراك فى الوصف مثل : المعوذتين لسورتى الفلق والناس ، والمقشقشتين لسورتى الكافرون والاخلاص .

وظاهرة التثنية وجدت فى اللغات السامية واللغة اليونانية وفى السنسكريتية ، لكنها لم تبرز بجلاء ووضوح إلا فى العربية من اللغات السامية .

وربما كان اهتمام العرب بالمثنى أنه داخل فى حيز الجمع فأرادوا تمييز معالمه خشية أن يَنْدَثِرَ بالجمع عنه كما حدث فى الضمير (نحن) .

ولعل إثارة هذا الموضوع تكون فاتحة لمحاولات تستخلص نتائج جديدة بالنسبة لتكوّن الظواهر اللغوية وسط خِضَمّ اللغات العربية والسامية .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

مراجع البحث :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ أساس البلاغة ـ للزمخشري ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .
٣ ـ الأشباه والنظائر في النحو ـ جلال الدين السيوطي ـ مكتبة الكليات الأزهرية .
٤ ـ البحر المحيط ـ لأبي حيان ـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة (الرياض) .
٥ ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ دار المعارف بيروت .
٦ ـ البيان في غريب إعراب القرآن ـ لأبي البركات بن الأنباري ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ١٩٦٩ .
٧ ـ حجة القراءات ـ لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق سعيد الأفغاني ط ٣ ـ مؤسسة الرسالة .
٨ ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي .
٩ ـ شرح القصائد العشر ـ التبريزي .
١٠ ـ شرح المفصل ـ لابن يعيش ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة
١١ ـ الفروق في اللغة ـ لأبي هلال العسكري ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .
١٢ ـ فقه اللغة وأسرار العربية ـ لأبي منصور الثعالبي .
١٣ ـ فقه اللغة المقارن ـ د . ابراهيم السامرائي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
١٤ ـ كتاب الكافيه في النحو ـ لابن الحاجب ـ دار الكتب العلمية (بيروت) .
١٥ ـ كتاب " سيبويه " ـ لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ .
١٦ ـ ليس في كلام العرب ـ لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
١٧ ـ المزهر في علوم اللغة ـ جلال الدين السيوطي ـ مطبعة محمد صبيح .
١٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي .
١٩ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .
٢٠ ـ معجم مقاييس اللغة ـ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الكتب العلمية ـ إيران .
٢١ ـ المقتضب ـ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ـ تحقيق ـ محمد عبد الخالق عضيمة ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ .
٢٣ ـ النحو الوافي ـ عباس حسن ـ دار المعرفة بمصر ط (٥) .
٢٤ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع ـ جلال الدين السيوطي ـ دار المعرفة بيروت .